٣ـ كَلِمـــة وكُلَيْمة(١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

إذا أَسْنَدَت الأمةُ مناصبَها الكبيرة إلى صِغَار النفوس ، كَبُرَتْ بها رذائلُهم لا نفوسُهم . . .

شَرُّ المُصْلِحين رجلٌ مُسَلَّطٌ على أُمَّةٍ يحكمُها بعقل كبيرٍ فيه موضعُ فكرةٍ مجنونة(٢) . . .

إذا فَسَقَ الحاكمُ ، فقد حَكَمَ الفسقَ

تُبْتَلَى الأُمَمُ أحياناً ببعض المجدِّدين ، فلا يكون أولُ جديدهم إلا عيوبَ أنفسهم . . .

يقول لك الكذَّابُ إنه يكره الكَذِب ، ولكنه فى هذا أيضاً كذاب . . .

قيمةُ كل شىء هى قيمةُ الحاجة إليه ؛ فترابُ شبرٍ من الساحل هو فى نظر الغريق أثمن من كل ذهب الأرض

حقيقة الذُّل ألا يعرفَ الذليل حقيقةَ نفسِه

المعلِّمُ ثالثُ الأبَوَيْن ؛ فلينظرْ كيف يَأْبُو حين ينظرْ كيف يُعَلِّم

إنما كَثُرَت الآراء فى المرأة ، لأن المرأة هى ما يَفهمُهُ كلُّ رجلٍ منها بنفسه

لا تبلغُ الفلسفةُ ولا العلمُ ولا النهضة النسائية . . . فى تعريف المرأة ، أكثرَ من أنها ليست رَجُلا . . .

لو عَقَلَ نساء هذا الزمن ؛ لطالَبْنَ بحقوقهنَّ فى الرجال ، لا بحقوقهنَّ على الرجال

يبالغُ بعضُ الكتَّاب فى مُظَاهَرة النساء على تَمَرُّدهنَّ ، إذ كانت هذه هى اللغة الفصيحةَ التى يُنادى بها جمالُ المرأة . . .

أبلغُ الردّ على هؤلاء الغالياتِ فى المطالبة بحقوق المرأة ، أنهنَّ أوأكثرهن ، بين واحدةٍ فَقَدَت الرجُل ، وأخرى سُلِبت الرجُل ، وثالثةٍ لم تَنَل الرجُل ؛ فهى أحلامُ إفلاسٍ كما ترى . . .

إستِرْجَالُ المرأة ، وسوء خُلُقِ المرأة ، وقَذَارةُ المرأة ، أحَدُ الثلاثة هو فى قُبْحِه — كالثلاثة جميعاً

العشقُ الدنيء دنيء مرتين ؛ حتى إن المرأةَ الساقطةَ لو أخلصت الحبَّ لرجل من عشَّاقها ، لسقطت مرة ثانيةً فى رأى الباقين

فى الأُمَمِ المنحطَّة ، تجد نفاقَ الكبار للكبار ، هو الذى أضاع الكبارَ والصِّغار

فى مثل هذا العصر ، يكادُ يكون التعريفُ الصحيح للأفضلِ من الناس أنه الأقلُّ سفالة . . .

كثيراً ما جَنَتِ المروءةُ على أهلها ؛ ولكنَّ احتمالَ هذه

---

(١) كتب إلينا من أوربا أن هذه الكلمات ترجمت عن « الرسالة » إلى الفرنسية

(٢) كفكرة إسقاط الدين مثلا أو هدم اللغة أو تقليد أوربا بين هوراء . . . أو دفع المرأة فى سبيل الاباحة الخ

احتياجنا العميق إلى الصديق . لأنّ لدينا مُرغمين كميةً من المودة والوفاء والتسامح والغفران والتضحية لا بدّ من تصريفها وإنفاقها لنزيد بالعطاء غنًى . وعند من نصرفها وعلى من ننفقها إلا على الأشخاص الذين نراهم قمينين بأنبل ما عندنا من فكر ، وأصدق ما لدينا من عاطفة ؟

* * *

أيها الذين ربطت الحياةُ بينهم بروابط المودة والأخاء والتآلف الفكرىّ والنبل الخلقىّ ، حافظوا على صداقتكم تلك واقدروها قدرها ! فالصداقة معينٌ على الآلام ومثارٌ للمسرات ، وهى نور الحياة وخمرتها ، وكم تكنُّ من خير ثقافىّ وعلمىّ للنابهين !

لا تخافوا أن تكونوا من أهل الشذوذ والسذاجة فى نظر المغرضين ! ألا بئست نفسا فقدت كل سذاجة ، وسارت على وتيرةٍ واحدة ، لا تعيش إلاّ للغرض وبالغرض ! ما أفقرها وإن كانت ثريّة ! وما أصقعها بالثرى وإن كانت عليّة ! وحسبكم أنتم أنكم بإعانكم بالصداقة توجدون الصداقة ، وبممارستكم أساليب الصداقة إنما تكوّنون خميرة الصفاء والصلاح والوفاء !

« مىّ »

الحِنايةَ هو أيضاً من المروءة

إذا عاملتَ لئيماً فأنت بين اثنتين : اما أن تبيعَه ذِمَّتَك بلا شيء ، أو تشترىَ ذِمَّته بشيء . . .

أقْنِعِ اللئيمَ بالكَرَم الذى فى نفسك ؛ فبهذه الطريقةِ وحدها يفهمُ اللؤمَ الذى فى نفسه

الخطرُ الذى تكونُ فيه العنايةُ الالٰهية ، هو نجاحٌ اسمُهُ الخطر.

علمُ الجاهل فى شيئين : فى سكوتِهِ ، وفى السكوتِ عنه

أشدُّ ما فى الكسَل أنه يجعلُ العملَ الواحدَ كأنه أعمالٌ كثيرة

الرجلُ العظيمُ فى فنِّه ، قالَبٌ إنسانىٌّ لا إنسان ؛ فلا يُقاسُ إلا ليُقاسَ عليه غيرُه

من هَوَان الدنيا على الله أن رذيلةَ المُلحِد فى رأىِ المؤمن هى أختُ غَفْلةِ المؤمن فى رأى الملحد

ليس فى بَغْضَاء اللئيم أبغضُ من طريقة إظهارها ، إنه لا يُعْلِنُ بُغْضَه بل لؤمَهُ المبغِضُ

الرأسُ الفارغُ من الحكمة لا يُوازِنُه فى صاحبه إلا فمٌ ممتلىء من الثرثرة

ما أضيَعَ النُّصْح فى الحبّ وفى الخمر ؛ لأن العاشق والمُدْمِنَ كلاهما أشدُّ افتقاراً لسروره منه إلى عقله

أفلا ترى المرأةُ أن طبيعتَها تجعلُ نظرَها إلى الرجل فى بعض الأوقات مُهيِّئاً لبعض العَمَى . . .

قال لى عاشقٌ حزين : ما أقدَسَ الحزنَ الذى فيه رُوحانيةُ الفَرَح : إنه حزنٌ وسرورٌ وشهوةُ نفس

إذا لم يكن فى الدنيا إلا قاضٍ واحدٌ يَنفُذُ قضاؤه ، ثم احتجتَ أن ترفع قضيَّةَ غَصْبٍ أو (نَصْبٍ)[1] على هذا القاضى

(١) قولهم نصب عليه بمعنى احتال واستهالهم كلة النصب منها ؛ ليس عصيحاً ولكنه عامى مولد . وقد أصبحت الكلمة من الألفاظ القضائية فلا نمنع أن تجرى مجرى المصطلحات . وفى اللفظة مع عاميتها دقة بليغة

. . . فهذه صورةُ كل عاشقٍ ومعشوقه فى الدنيا

رأيتُ فى نومى ذات مرَّة أنى دعوتُ طبيباً لمريض عندى : ثم قلتُ له وقد وصف الداء : هل نُسَخِّنُ الماء ؟ فقال : لا تسَخِّن الماء ؛ ولكن ضَعْه على النار حتى يَسْخُن . . . هذا بعينه أسلوبُ كبرياء المرأةِ العاشقة حين تقول : لا على وزن «لا تسخِّن الماء ولكن . . . »

إذا طال هجرُك لمن تحبُّها ، كان أثرُ مرور الزمن عليها كأثره فى الحرير المصبوغ ؛ إن لم يَبْدُ فى العين ذَليلَ النسْج ، بدا فيها ذليلَ اللون . . .

الرجلان العاشقان لامرأة واحدة لا يتحابَّان ، والملِكان الطامعان فى مملكة واحدةٍ لا يَتسالَمان ، والطفلان الشَّريكان فى لُعْبَةٍ واحدةٍ لا يَتصافيان . فاللعبةُ امرأةُ الطفلين ، والمُلْكُ امرأةُ الملِكين ؛ أما المرأة فهى امرأةٌ ومُلكٌ ولُعبة ، وأتمُّ النساء من تجمعُهنَّ

يقولُ لك الزاهدُ العابد : أُخرجْ من الدنيا وادخُل فى نفسك ، ويقول لك الماجنُ الخليع : أُخرج من نفسك وادخل إلى الدنيا ، ويقول لك الحكيم العاقل : كن فى الانسانية تكنْ فى نفسك وفى الدنيا

تُرى ماذا يحتاجُ الحيوانُ فى أوربا من قِوام عَيشِهِ ولذّاته ، غيرَ ما يحتاج اليه حيوانٌ مثلُه فى قريةٍ من قُرى الزِّنج ؟ فليس فقرُ المدنية فقرَ الطبيعة ، ولكنه فنٌّ العقل والخيال والوهم . وهذه الطبيعةُ تكفى كلَّ أهل الأرض شمساً وهواء وطعاماً وشراباً وجمالاً . ولكنها لا تُنْبِتُ خَيالاتِ العيش ولا قواعدَ العيش . فأصبحت لا تكفى ما دام غنىٌّ واحدٌ يُنفق فى لذة يومٍ قُوتَ مدينة . لا يأكل الحمارُ الأرضَ كلها ليجيعَ الحمير . ولكنَّ الغنىَّ يفعل ذلك . . .

رأيتُ القوانين كملاجىء اللُّقَطاء . هذه تربّى صغار الأطفال وتلك تربّى صغارَ الجرائم . . . ؟

طنطا